الباب الثاني

أصول التربية الإسلامية

- الأسس الفكرية للتربية الاسلامية .
- نظرة الاسلام الى الانسان والى المجتمع.
- الأسس التربوية الاسلامية .
- مصادر التربية الاسلامية .

● توطئـة :

ونحن بصدد محاولة الاحاطة بالنظرية الاسلامية للتربية ، وبعد أن قدمنا لهذا بباب تمهيدى عن تطـور مفهوم التربية عند غير المسلمين ، ثم عند المسلمين ، وما تعرض له المسلمون من غزو تربوى خطير ، مما يكشف عن أهمية التربية الاسلامية (الصحيحة) فى مواجهة ذلك ، فضلا عن أن التزامها التزام يوجبه الاسلام وتوجبه المرحلة التى تمر بها الدعوة الاسلامية فى تاريخنا المعاصر ٠

ننتقل فى هذا الباب الى صلب النظرية الاسلامية للتربية ٠٠ الى أصول هذه النظرية :

ما هى أسسها الفكرية ٠٠ ؟

ما هى أسسها العملية أو ميادين عملها ٠٠ ؟

ما هى مصادر هذه التربية ٠٠ ومدى اختلافها عن المصـادر الأخرى ٠٠ ؟

ونحس أن هـذا أخطـر الأبـواب ، ونستعين بالله سبحانه لمحاولة بلوغ أعماقه والاحاطة بأطرافه ، والله المستعان ٠

* * *

الفصل الأول

الأسس الفكرية للتربية الاسلامية
« نظرة الاسلام الى الانسان والى المجتمع »

● **أهمية هذه النظرة :**

فى أنظمة كثيرة تتفاوت النظرة للانسان ..

.. فبعضها نظرت اليه نظرة مادية بحتة ، ومن ثم كان اشباع هذا الجانب المادى هو غاية همها ، ومبلغ علمها .. وألبست ذلك ثوب النظريات العلمية ، فـ « دارون » ومن سلك سبيله قالوا بأن أصل الانسان قرد ، و« فرويد » ومن سلك سبيله فسر السلوك الانسانى تفسيرا حيوانيا بحتا .. فالطفل الرضيع يشبع غريزته الجنسية بالرضاع ، والولد يشتهى أمه فاذا حيل بينه وبينها بسلطان الأب المتسلط كانت عقدة « أوديب » ..... وهكذا .

وسادة الوجودية انتهاء الى « سارتر » أطلقوا للفرد شهواته بحثا عن ذاته وتحقيقا لوجوده ، وأفرزوا فرق «الهيبيز» و «الخنافس» و « الجنس الثالث » وما تبع ذلك من علاقات شاذة تشكلت باسمها جماعات وجمعيات تطالب بحقوقها ، وسقطت بعض « البرلمانات » فى اقرار هذه العلاقات الشاذة ... وهم اليوم يعيشون بعض آثار هذا السقوط فيما تسلط عليهم من مرض « الايدز » (Aids)

الذى يعنى فقد المناعة عند هذا الصنف الساقط والذى ينتقل خلال الدم من فرد لآخر ٠٠ والذى أصاب كذلك ذرياتهم (١) ٠

٠٠ وفى مقابل هذا التطرف كان ولا يزال تطرف آخر يعلى فى الانسان جانب الروح على حساب الجسد ، ويجعل وسيلة ذلك تعذيب الجسد مع تفاوت بسيط فى درجات ذلك التعذيب ٠٠٠

وبذلك فرضت على الانسان « رهبانية » خطيرة تكبت فى الانسان طاقاته ، وتصادر فطرته وطبيعته ، وكان نظام «الرهبنة» فى الأديرة هو التطبيق العملى ، وربما الأول لهذه النظرية المتطرفة ٠

وكان ثمة صور مقاربة عند بعض الفرق الاسلامية التى قلدت تلك الأنظمة الغريبة أو التقت معها بحثا عن انطلاق الروح من اسار الجسد ليتحقق للمريد درجة المكاشفة ٠٠٠

ومن ثم كانت صورا من الانعزال عن المجتمعات ، والتسربل فى الخرق البالية ، ومزاحمة المتسولين ومنافستهم فى مد اليد اذلالا

---

(١) تناقلت الوكالات والصحف – بطريق متواتر – تلك الأنباء ولا يزال الطب عاجزا عن مواجهة هذا المرض الخطير الذى يهدد مجتمعات الغرب،والذى تعتبر الاصابة به بداية موت بطىء ومعذب، ويقدر عدد الذين أصيبوا فيما بين عامى(١٩٨١ – ١٩٨٥) فى لوس آنجلوس ونيويورك ما بين (٦٠٠ ألف – ٢ر١ مليون)) مات منهم ستة آلاف ٠ (الشرق الأوسط – ١٨ من المحرم ١٤٠٦ هـ – ٢ أكتوبر ١٩٨٥ م – العدد ٢٥٠٠ – الصفحة الأخيرة) ٠

للنفس ... مخالفين فى ذلك كله تعاليم الاسلام الصريحة (٢) ، ومخالفين من قبلها نظرة الاعتدال التى أقامها الاسلام وجعل معها للفرد « التكريم » و « التفضيل » .. هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى .. سقطت مجتمعات اسلامية فى تقبل أفكار غريبة عن اسلامنا الصافى :

.. ففى مواجهة موجات الانحلال والفجور ، التى انتقلت الينا من الغرب الفاجر داعية الى اباحية خطيرة .. شجع عليها اختلاط الجنسين فى التعليم بدءا بالدراسة الجامعية وانتهاء الى مراحل التعليم المختلفة فى بعض البلاد ، أو اختلاطهم عن طريق «التليفونات» التى شاعت والمدارس التى انتشرت فأعطت فرص التغيب الطويل عن البيت ورقابته ، كذلك الاختلاط فى مجالات العمل المختلفة فى أكثر البلاد ، والاختلاط فى وسائل المواصلات المختلفة كذلك .

---

(٢) ينهى الاسلام عن السلبية ويفرض على الفرد والمجتمعات مقاومة المنكر بالطريقة الايجابية : باليد أو اللسان وفى النهاية بالقلب ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ، وفى الحديث « من خالط الناس وصبر على أذاهم خير ممن لم يخالطهم ولم يصبر على أذاهم » .

كذلك نهى عن التسربل فى الخرق البالية والظهور بغير الحقيقة « **وأما بنعمة ربك فحدث** » (الضحى : ١١) ، « ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » أما التسول فيكفى فيه : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، « ومن يتعفف يعفه الله » .

وزكى الاعلام الفاجر ذاك الاختلاط وذكاه نارا بأغانيه وتمثيلياته ، ومسلسلاته ومسرحياته وأفلامه .. كلها تدور حول كيف يلتقى الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل ، بعيدا عن العيون ، وكيف اذا رأت العيون ذلك لا تنكره ولا تستقبحه ، وكيف يمكن لفتاة أن تفلت من رقابة أهلها ان كانوا لا يزالون محافظين أو « رجعيين » ! وكيف تستطيع الزوجة أن تغرر بزوجها وتخدعه وتخونه من خلال « صديق الأسرة » الذى تفتح له الأبواب بغير تحرج ولا استحياء ، والذى يرى من الزوجة ما لا ينبغى أن يراه الا الزوج ، بل الذى تبدو أمامه الزوجة فى أكثر الأحيان أجمل وأفضح مما تبدو أمام زوجها .. فان استعصى « صديق الأسرة » ففى شقيق الزوج أو ابن العم أو ابن الخال بديل صالح أو طالح !

وتدرجت الممثلات والراقصات ممن يسمونهن نجوما وكواكب ليجعلوهن فى موضع القدوة الخاطئة ـ تدرجن من تعرية جزء من الجسم الى تعرية أكثره الا العورة المغلظة ...

وتدرجن فى الأفلام من تمثيل مقدمات الزنا الى تمثيل الزنا نفسه دون ما أدنى خجل أو استحياء .. وتدوولت تلك الأفلام أسرع وأخطر من غيرها كالنار تسرى فى الهشيم ، وساعد المسجل المصور « الفيديو » على بلوغها كل بيت فان تعذر ففى أندية الرياضة وبعض أماكن التجمع الأخرى بديل عن البيوت !

وأغمضت الأجهزة التى تحصى « دقات القلوب » ـ ان أرادت ـ

أغمضت العين عن ذلك مشاركة أو تشجيعا أو توجيهـا .

وفيما تبع ذلك من انتشار العلاقات المحرمة ، وتعاون الأوضاع الاجتمـاعية عـلى ذلك ، وتيسير وجـود « الشقق المفروشـة » و« الجارسونيرات » ، ووجود البديل عنها فى بعض البلاد المحافظة كفنادق الدرجة الأولى التى لا تدقق فى علاقة الساكن مع من يصحبها ، وكذلك السيارات الفارهة التى تصلح غرف نوم متنقلة خاصة فى بلاد الساحات الواسعة ... وفى التفريط فى تطبيق حدود الله على تلك العلاقات المحرمة وانتهاء أكثر تلك القضايا فى مراحلها الأولى تسوية وصلحا ، تحت شعارات « الستر » و« عدم الفضيحة » ـ ووجود نصوص أخرى فى البلاد التى تأخذ بالقوانين الوضعية تبيح الزنا اذا تجاوز سن الفتاة الثامنة عشرة وتبيح الزنا للزوج فى غير منزل الزوجية وتبيحه باذن الطرف الآخر .. بل تجعل من حقه وقف الدعوى فى أى مرحلة من مراحلها بل وبعد صدور الحكم يملك التنازل فيخرج الطرف الآثم « وبراءة الأطفال فى عينيه » !

ومع هذا الفجور الموجه .. فكـــريا ، واعلاميا ، وتعليميا ، واجتماعيا .. بل وسياسيا .. هانت ألفاظ الكفر على الألسنة .. اما جهلا ، واما عمدا ..من أولئك الذين حملوا مع «الجنس»و«المال» نظريات الكفر الباواح المنكرة لوجود الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ والمتطاولة على مقامه الكريم .

وتعاون الغرب الفاجر والشرق الكافر ـ اما توافقا أو اتفاقا ـ

على حل المجتمعات الاسلامية ونشر الفساد والفجور والعصيان فيها ، بغية الوصول الى اذلالها واستعبادها ، وصرفها عن دينها الذى هو عصمة أمرها !

وتزامن ذلك الفجور مع قهر وارهاب مارسته الأنظمة الحاكمة مع الداعين الى الله سبحانه ، وسلطت عليهم ، وعلى ذويهم ألوانا من العذاب أعادت للأذهان ما كان يحدث فى عهود محاكم التفتيش ، بل جاوز الجهابذة الأبطال تلك الصور القديمة ، واستفادوا من « تكنولوجية » العصر فى تعذيب المسلم واذلال المسلم ٠

وداس « دعاة جهنم » كل الحرمات وكل القيم ٠٠ الاسلامية ، بل والانسانية ، ويستحيل على اللسان أن يورد فى هذه السطور بعض ما شاهد صاحبها أو بعض ما سمع ممن يرقى فوق مستوى الشبهات (٣) !

٠٠ وأحدث ذلك كله ردود الفعل ٠٠

---

(٣) صدر لكاتب هذه السطور كتابان : « فى الزنزانة » ، « عندما يحكم الطغاة» وصدر فى هذا المجال كتب أخرى «نافذة على الجحيم» ، « اقسمت أن أروى » ، « البوابة السوداء » ٠٠
ومع ذلك فأعتقد أن ما كتب دون الواقع الأليم الذى عاشه أبناء الدعوة الاسلامية فى هذا الجيل المنكود ٠
راجع قضية التكفير ـ للمستشار ـ سالم البهنساوى ٠

فكان وصف للحكام بالكفر ·· وقد يكون صحيحا فى بعضهم ·
لكنه تجاوز ذلك الى معاونيهم ·· وقد يكون كذلك صحيحا فى بعضهم ·

ثم تجاوز ذلك الى الساكتين ·· وهو ما قد يكون غير صحيح فى أكثرهم ·

ثم تجاوز ذلك الى المجتمع كله وهو بالتأكيد غير صحيح ·
واستحى البعض أن يطلق لفظ «التكفير» ، أو تحفظ ذكاء ودهاء حتى لا يتهم بالمغالاة ، أو التطرف ، فاستعمل لفظا بديلا يؤدى نفس المعنى لكنه ـ فى ظنه ـ لا يوقع فى نفس الحرج ·· وكان هذا اللفظ هو « الجاهلية » ·

ووصم المجتمع كله ـ لا بعضا منه ولا جوانب من نظامه ـ وصم المجتمع كله بأنه جاهلى ·

ولم يرد مثل هذا الوصف فى قرآن ولا سنة ، ووصف أفراده بأنهم جاهليون ومن هنا انطلقت الصيحة ·

أن لابد من البداية من نقطة الصفر ··· !

لابد أن نعلم الناس أولا مدلول « لا اله الا الله » لأنهم ينطقونها وهم لا يفهمون أو لا يعقلون وأكثرهم ـ مع نطقها ـ جاهلى يغط فى الجاهلية !

··ومن هنا كانت أهمية هذا البحث ··

اننا بادىء ذى بدء لا نقر ما عليه الأفراد والمجتمعات ·· لا من اغراق فى الفجور والفساد ولا من ارهاب وقتر وتعذيب ·

ومن قبل ذلك لا نقر قهر الأجساد ولا رهبانيتها بحثا عن أشواق الروح ، كما لا نقر كل استجابة لأى نداء للجسد ٠

ومع ذلك لا نقر التطرف الآخر وصفا للأفراد والمجتمعات بالكفر والجاهلية ـ دون تحفظ ـ أو نداء للروح دون الجسد أو للجسد دون الروح ٠٠ « **وكان بين ذلك قواما** » ٠

وهو ما نبينه بمشيئة الله فيما يلى ذلك من سطور ٠٠

وقبل أن نمضى الى ذلك نحب أن نشير الى أن أكثر الكاتبين درج على الحديث عن نظرة الاسلام الى الانسان ، والكون والحياة ٠٠٠ (٤) ، واذ صار هذا الحديث مكرورا ، وصار معلوما بالنسبة للقسمين الأخيرين ٠

واذا كان الغلط والخلط هو فى النظرة الى الانسان والمجتمع ، وكانت نقطة البداية فى التربية السليمة تختلف مع هذا الغلط ـ فقد رأينا الاقتصار على هذين الأمرين والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٠

اولا : نظرة الاسلام الى الانسان

لم يكرم نظام الفرد كما كرمه الاسلام ٠

ولم يوازن بين طاقاته المختلفة كما وازن الاسلام ٠

---

(٤) راجع منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ، وراجع اصول التربية الاسلامية وأساليبها لعبد الرحمن النحلاوى ٠

ولم يفجر هذه الطاقات العديدة بلوغا الى الخير وتحقيقا للمثالية دون مصادرة للواقع كما فعل الاسلام .

ليس معنى ذلك « الموازنة » أو « المقارنة » بين الاسلام وغيره من الأنظمة .. لأنه لا وجه لهذه الموازنة والمقارنة لبعد ما بين الاثنين بعد الأرض عن السماء أو ما هو أكثر !

لكنه نوع من المقابلة أو البيان أو بتعبير القائل « وبضدها تتميز الأشياء » أو بتعبير ابن الخطاب « لا يعرف الاسلام من لا يعرف الجاهلية » (٥) .

وفى الكلمة التالية تفصيل ما أجملنا ، والله المستعان :

١ ـ توازن :

« **الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » (٦) .

لاشك أن الخالق أعلم بما خلق ، من هنا كانت دقة التصوير القرآنى للانسان أنه « قبضة من طين » و « نفخة من روح » .

ومن هنا رسم الاسلام للانسان خطوط حياته اقرارا بأنه قبضة من طين ، وبلوغا الى أن فيه نفخة من روح .

فمثلا : غريزة البحث عن الطعام ـ لم ينكرها الاسلام ..

---

(٥) أورد ابن القيم قول عمر بن الخطاب « انما ينقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية » .

(٦) الملك : ١٤ .

بل أقر وجودها فى الانسان واعتبر اشباعها « ضرورة أو حاجة ، وتحسين ذلك الاشباع كماليات أو تحسينات يعترف بها « **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** » (٧) .

« **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا** » (٨) .

« **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ..** »(٩)

« **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** » (١٠) .

ومع ذلك فقد عذب تلك الغريزة وسما بها ..

فالبدء فى الطعام باسم الله ، والأكل مما يليه ، والحمد لله فى نهاية الطعام ومرعاة التوزيع السليم : « ثلث لطعامه ، وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

والتحذير : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » ، « المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء » .

ومع هذا ندبه للايثار : « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** » (١١) .

وندبه الى التعاطف مع الجار بحيث يعطيه مما يشم رائحته .

وندبه الى التكامل مع المجتمع بحيث لا يبيت شبعان والى جواره جائع .

---

(٧) الأعراف : ٣٢ (٨) المؤمنون : ٥١

(٩) المائدة : ٨٧ (١٠) المائدة : ٨٨

(١١) الانسان : ٨

وحذره من جزاء الدنيا : « **اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين • ولا يستثنون • فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون • فأصبحت كالصريم** ••• » (١٢) •

وحذره من جزاء الآخرة « **فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون • الذين هم يراءون • ويمنعون الماعون** » (١٣) •

ووضع له الحدود ان جاوز أشباعا لهذه الغريزة ••

حد السرقة قطعا لليد لمن توافرت فيه الأركان والشروط ، وانتفت عنده الشبهات وفى مقدمتها عدم الحاجة •

حد الحرابة قتلا وقطعا ونفيا •• لمن قطع الطريق أو أرعب أو أرهب •

هل على وجه الأرض أحكم من هذا النظام ؟

ومثل آخر : غريزة الجنس أو الميل الجنسى ••

لم ينكرها الاسلام ، بل اعترف بهـا ، وندب الى تصريفهـا تصريفا سليما فى صورة الزواج ، وندب الى الزواج المبكر ، والى تخفيف الأعباء التى تحول دون هذا اللقاء الشريف ••• وشرعه مرة ومرة ومرة ومرة حتى لا يكون لأحد حجة ، وجعل الصيام وجاء لمن لا يستطيع •

وجعل اللقاء بعد تأنيسه على تقوى من الله ورضوان •• جعله يبدأ باسم الله •

---

(١٢) القلم : ١٧ ــ ٢٠ (١٣) الماعون : ٤ ــ ٧

وجعل معه من الآداب ما يرتقى به ٠

وجعل النسل من ورائه غاية كريمة وشريفة : « **ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما** » (١٤) ٠

لكنه فى الوقت نفسه نهى عن كل انحراف فى هذا المجال ، ووضع له الحدود قاسية مرعية تذهب بكل تفكير فى شهوة طارئة أو نزوة عابرة وجعل معها الجزاء الأخروى كذلك : « **ومن يفعل ذلك يلق أثاما ٠ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ٠٠٠** » (١٥) ٠

ترى هل هناك نظام أحكم من ذلك ؟ !

* * *

٢ ـ تكريم :

كرم الله الانسان ٠٠٠ لأنه انسان !

وكرمه الله مرة أخرى اذ أنعم الله عليه بالاسلام ٠٠

ويصل غاية التكريم اذا بلغ التقوى ٠٠

أما الأولى فقوله تعالى : « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » (١٦) ٠

وأما الثانية فقوله تعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » (١٧) ٠

---

(١٤) الفرقان : ٧٤ (١٥) الفرقان : ٦٨ ، ٦٩

(١٦) الاسراء : ٧٠ (١٧) المائدة : ٣

وأما الثالثة فقوله تعالى : « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » (١٨) .

ولقد نزل منهاج التربية الربانى من الرب الأكرم لهذا الذى كرم : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم** » (١٩) .

ويخطىء البعض اذ يظن التكريم واحد بين الانسان - مطلق الانسان - وبين المسلم أو المؤمن الذى من الله عليه بنعمة الاسلام حتى أنهم ليعتبرون أن منهج التربية الاسلامى جاء لهذا الانسان ..

لكنا نبادر فنصحح : ان تكريما للانسان لأنه انسان وارد بالنص الأول كما أشرنا .

لكن تكريم المؤمن أعظم : ذاك ما حرصت عليه النصوص السابقة ..

ونضيف اليها : « **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** » (٢٠) .

« **وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء ، قليلا ما تتذكرون** » (٢١) .

ذاك نص ....

ونص كذلك خطير : انه يجعل حرمة المؤمن أعظم من حرمة بيته الحرام :

---

(١٨) الحجرات : ١٣ (١٩) العلق : ١ - ٥

(٢٠) سورة ص : ٢٨ (٢١) غافر : ٥٨

مر رسول الله ﷺ بالكعبة يوما فقال : « ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والله لحرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة بيته المحرم » (٢٢) ٠

ذلك بالتأكيد ما لم يعيه حتى الآن كل النساسة ، ومالم يعيه حتى الآن الكثيرين المربين !

وتفريعا على ذلك التكريم ٠٠

فقد خصه الله سبحانه وتعالى بالعقل ، وهو الذى يشير اليه القرآن بالفؤاد فيما نظن ٠٠ والله أعلم (٢٣) ٠

وخصه مع العقل أو بعد العقل بالعلم : « **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين** » (٢٤) ٠

وقبلها : « **اقرأ وربك الأكرم ٠ الذى علم بالقلم ٠ علم الانسان ما لم يعلم** » (٢٥) ٠

---

(٢٢) رواه ابن ماجة ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال فى التقريب : ضعيف ٠

(٢٣) العقل والقلب والنفس والفؤاد والروح ـ فى ظننا أسماء متعددة لمفهوم واحد ويغلب اسم على آخر تبعا للجانب الذى نهتم به ـ فاذا كان الحديث عن التفكير أطلق : العقل ، واذا كان عن العاطفة أطلق : القلب ٠٠ وهكذا ٠ راجع بحثا لنا تحت الطبع باذن الله « منهج التفكير الاسلامى » ٠

(٢٤) البقرة : ٣١

(٢٥) العلق : ٣ ـ ٥

ومعها : « **الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان** » (٢٦) .

وفى الأولى يمن على الانسان بالخلق وبعدها يمن عليه بالعلم .

وفى الثانية يمن على الانسان بالعلم ، ثم يمن عليه بالخلق ، ثم يعود الى العلم مرة أخرى ليؤكده ..

ومع هذا كله : « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » (٢٧) .

« **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الألباب** » (٢٨) .

« **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ..** » (٢٩) .

وتفريعا على ذلك التكريم كذلك ما نقوله فى الثالثة (٣٠) .

* * *

٣ – تفجير الطاقات :

فأول طاقة ، طاقة التقوى : « **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ..** » (٣١)

---

(٢٦) الرحمن : ١ – ٤ (٢٧) فاطر : ٢٨

(٢٨) الزمر : ٩ (٢٩) آل عمران : ١٨

(٣٠) ومن التكريم للانسان المسلم استخلافه فى الأرض .. « **واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة .** » (البقرة : ٣٠) « **وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ...** » (الانعام : ١٦٥) .

(٣١) الشمس : ٧ – ١٠

انه أولا يضع الأمر موضع الفطرة : فى النفس الفجور والتقوى، ثم يطالبه بتفجير طاقة التقوى « **قد أفلح من زكاها** » ٠

وثانى الطاقات : طاقة العلم ، وقد أشرنا ، الى بعض النصوص فيما سبق ٠ ونشير هنا الى ربط هذه الطاقة بالطاقة السابقة : « **واتقوا الله ، ويعلمكم الله** » (٣٢) ٠

وثالث الطاقات : متفرعة عن الثانية : تسخير السموات والأرض :« **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه** »(٣٣) « **كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم** » (٣٤) ٠

« **كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون** » (٣٥) ٠

وتبلغ آيات الاشارة الى التسخير حول عشرين آية (٣٦) ٠

هذا التسخير يدفع علماء المسلمين الى اكتشاف ما فى الكون من آيات ، ويتعبدون الله بذلك ، مما جعلهم فى الماضى أئمة العلم فى كل فروعه ، وأصحاب المذهب التجريبى الذى أخذته عنهم أوروبا ، وأصحاب أول جامعات عرفها العالم وعرف من خلالها النور فى حوض البحر الأبيض المتوسط !

ذاك هو الانسان الذى عرفه الاسلام ، وعرفه لنا حتى نكونه ٠ بيد أننا نؤكد أنه وان كرم الانسان فى ذاته لانسانيته ، فان

---

(٣٢) البقرة : ٢٨٢ (٣٣) الجاثية : ١٣
(٣٤) الحج : ٣٧ (٣٥) الحج : ٣٦
(٣٦) المعجم المفهرس مادة (سخر) ٠

تكريمه لتقواه بعد اسلامه وايمانه هو بلا شك آكد ، ذلك الانسان هو الذى أعده الله لتلقى الأمانة .

* * *

٤ – استعداد لتلقى الأمانة :

ذلك الانسان الذى خلقه الله قبضة من طين ونفخة من روح ..

ذلك الانسان الذى كرمه ربه بانسانيته ، ثم كرمه بايمانه ، ثم كرمه بتقواه ..

ذلك الانسان الذى خصه ربه بطاقات القدرة على التعلم والقدرة على تسخير السموات والأرض .. هذا الذى أهله ربه لحمل الأمانة :

« وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » (٣٧) .

« وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ... » (٣٨)

« فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله .. » (٣٩)

« انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا » (٤٠)

* * *

---

(٣٧) الأعراف : ١٧٢ (٣٨) البقرة : ٣٠

(٣٩) الروم : ٣٠ (٤٠) الأحزاب : ٧٢

ثانيـــا : نظرة الاسلام الى المجتمـــع

● تقـــدمة :

اعتاد الكتاب فى مواضع كثيرة اذا أرادوا أن يتحدثوا عن نظرة الاسلام الى أمر من أمور المجتمع أن يقدموا لهذا الحديث بحديث عن التصور الاسلامى للكون والانسان والحياة ·· حتى صار هذا الحديث مكرورا ومعروفا ··

وقد درج بعض الكاتبين فى مجال التربية كذلك على مثل هذا الحديث ·

ولئن كان فى مثل هذا الحديث خير ·· الا أن تكراره فى كل مجال هو أشبه بمن سئل عن مسألة من مسائل الفقه الاسلامى فراح يقدم بالحديث عن أصول الفقه ·· كل أصول الفقه !

واذا كنا نتحدث فى مجال التربية ·· فان الأولى ــ فى ظنى والله أعلم ــ أن نتحدث على من تقع عليهم التربية ··

وهما صنفان : الفرد ·· والمجتمع ·

والفرد قد يكون ·· رجلا أو امرأة ·· شيخا أو شابا أو طفلا ·

والمجتمع قد يكون مجتمع « كفار » ، أو مجتمع « أهل كتاب » ، أو مجتمع « مسلمين » ·

واذ كنا فى مجال « التربية الاسلامية » فاننا نعنى بالفرد : الفرد المسلم ·

ونعنى بالمجتمع : المجتمع المسلم ·

أما ما عدا ذلك فهى دوائر يعتنى بها الاسلام فى مجال الدعوة ، وهو مجال غير مجال التربية ، فالأول أعم ، والثانى أخص ـ أو هو الدعوة فى مرحلتها الأولى : التبليغ ـ فاذا تمت انتقلت فى مرحلتها الثانية الى التكوين ، والتكوين يكون بالتربية والتزكية وتعلم الكتاب !

بيد أن قوما من قومنا ـ أكثرهم عن اخلاص ـ وكرد فعل لما مورس فى أوطاننا من قهر وارهاب وتعذيب ، وما جرى فيها من فسق وفساد وفجور .. كلاهما فاق التصور العادى كما وكيفا ....

نقول : ان قوما من قومنا ـ بدوافع أكثرها طيب ـ راحوا يطلقون على الأفراد المسلمين أوصافا ما كانت معهودة من قبل .. فوصف المسلم بالكفر أو بالجاهلية ، ووصفوا المجتمع كذلك بالكفر أو بالجاهلية .

وبادىء ذى بدء فاننا ننكر على الذين مارسوا القهر والارهاب والتعذيب ما اقترفوا ، ونبشرهم اذ لم يتوبوا بعذاب جهنم وعذاب الحريق ..

كذلك ننكر على الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا بما يمارسون أو يدعون من فسق وفساد وفجور ـ ننكر عليهم فسقهم وفسادهم وفجورهم ، ونبشرهم كذلك بعذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

وبرغم ذلك فنحن لا نقر الذين سارعوا فيهم فوصفوهم بالكفر أو بالجاهلية ·· أما لماذا ؟ ·· ففى الكلمات التالية الجواب بإذن الله ، والله المستعان ·

* * *

● **الكفر والجاهلية وصفان شرعيان :**

الكفر وصف شرعى يترتب على القول به أحكام معينة ومحددة ··

فالكافر بالنسبة للمسلمين ·· لا يزوج ، وان كان متزوجا طلقت زوجته وفرق بينهما ··

والكافر بالنسبة للمسلمين ·· لا يرث ولا يورث ··

والكافر بالنسبة للمسلمين ·· لا يصلى عليه ولا يدفن مع المسلمين ··

··· تلك كلها ، أحكام فردية أو « شخصية » ، وهناك أحكام أخطر ·· انه يحل دمه ، ويحل ماله ان كان محاربا ··

وان كان مع غيره يشكل مجتمعا ·· فلا يصح الاقامة بين ظهرانيهم أخذا بظاهر الحديث «أنا برىء من كل مسلم أقام بين ظهرانى المشركين » ··· الى غير ذلك من أحكام ·

ومن ثم كان اطلاق الكفر على المسلم ·· أمرا خطيرا ·

والأخطر منه أنه اذا لم يكن الوصف أو الحكم صحيحا ، فقد باء بالكفر من أطلقه لقول رسول الله ﷺ : «اذا قال الرجل لأخيه : ياكافر ، فقد باء بها أحدهما ، فان كان كما قال والا رجعت عليه » (١)

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة ، وانظر رياض الصالحين للامام النووى ص ٦٥٦ · طبع دار المأمون للتراث ·

● **والجاهلية كذلك وصف شرعى :**

جاء استخدامه فى القرآن أربع مرات :

الأولى فى سورة آل عمران (الآية : ١٥٤) مقرونة بالظن ، أو وصفا لهذا الظن : « **يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية** » (٢) ٠

والثانية فى سورة المائدة (الآية : ٥٠) مقرونة بالحكم أو وصفا لهذا الحكم : « **أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** » (٣) ٠

والثالثة جاءت فى سورة الأحزاب (الآية:٣٣) مقرونة بالتبرج أو وصفا لهذا التبرج : « **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » (٤) ٠

وهنا ورد قيد آخر هو وصف الجاهلية بأنها أولى (٥) ــ وقد

---

(٢) جاءت هذه الآية فى شأن فريق من المسلمين عاب عليهم ظنهم ، وقد اختلف هل كان هذا الظن نفاقا أو ضعف ايمان ،والجمهور على الرأى الأول (أنه نفاق) والاستاذ أحمد أمين عبد الغفار يرجح الثانى (الجاهلية قديما وحديثا ص ٨٨ وما بعدها) ٠

(٣) قيل فى مناسبة الآية الكريمة أنها تعقيب على التمييز بين الأبناء فى المعاملة ، وقيل على التمييز بين الضعيف والشريف ، فكانت نهيا عن ذلك ــ ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخوص السبب ففيها انكار لكل حكم ينحرف عن حكم الله ٠

(٤) قيل فى التبرج خمسة أقوال تتفاوت بين الاثارة فى المشية أو الاثارة فى كشف ما امر الله أن يستر ٠

(٥) قيل فى لفظ الأولى أربعة أقوال : أنها ما بين زمان عيسى ومحمد ، وقيل زمان ابراهيم ، وقيل ما بين آدم ونوح ، وقيل ما بين نوح وادريس عليهم صلوات الله وسلامه ٠

أخطأ البعض فهم المقصود من « الأولى » فعبروا عن جاهلية بأنها ثانية .. وعبر آخرون بأنها « عشرون » !

والرابعة وردت فى سورة الفتح (الآية : ٢٦) مقرونة بالحمية أو وصفا لهذه الحمية : « **اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية** » (٦) .

وقد تعرض لمعنى الجاهلية الامام البخارى ـ رحمه الله ـ (٧) فقال « المعاصى من أمر الجاهلية » ..

ثم تعرض لذلك المستشار حسن الهضيبى ـ رحمه الله ـ (٨) فجعلها شاملة للكفر وشاملة للمعاصى (٩) .

وتعرضنا لها كذلك فى موضع آخر (١٠) .

---

(٦) قيل فى الحميـة الجاهلية : انهـا العصبية لآلهتهم ، أو الأنفة من الاقرار بالرسالة والاستفتاح بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» .

(٧) الامام البخارى رضى الله عنه فى صحيح البخارى جـ١ ص١٤ .

(٨) فى كتابه القيم « دعاة لا قضاة » .

(٩) يقول رحمه الله : والجاهلية كالضلال والعصيان والفسوق والظلم من الألفاظ التى استعملت فى القرآن الكـريم وفى الأحاديث النبوية ، ولكن الخروج على أحكام الدين ذلك الخروج الذى لايبلغ أحيانا حد الخروج على الملة ، وأحيانا يبلغ حد الخروج على الملة والردة عن الاسلام قال عليه الصلاة والسلام لأبى ذر الغفارى رضى الله عنه : « انك امرؤ فيك جاهلية » ويعلق البخارى الذى أورد الحديث : « المعاصى من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا بالشرك » البخارى جـ١ ص ١٤ .

(١٠) المشروعية الاسلامية العليا ، للمؤلف .

ونود هنا أن نقول ان الآيات الكريمة قد قرنت الجاهلية بما يقيدها ولا يطلقها ٠

وان أحاديث رسول الله ﷺ كذلك فعلت ٠٠

فهل يصح اطلاق الجاهلية دون تقييد ؟

نعتقد أنها ان أطلقت دون تقييد فانها تستر معنى الكفر ٠

ذلك أنها تشمل فى هذه الحالة : العقيدة ٠٠ كما تشمل الأخلاق ٠٠ كما تشمل العبادات ٠٠

كما تشمل سائر ما فى المجتمع ومن فى المجتمع ، والعام ينصرف الى جميع أجزائه قطعا ٠٠

ومن ثم يصير المجتمع ان وصف بالجاهلى : جاهلى العقيدة ـ جاهلى الأخلاق ـ جاهلى العبادات ـ جاهلى المعاملات والأحكام ٠٠ وهو وصف خطير وحكم خطير ٠٠

ذلك : أن جاهليـــة العقيدة ٠٠ لا تفتير لهـــا ٠٠ غير الكفر ٠٠٠ والباقى قد يكون خليطا بين الكفر والمعاصى ٠

وهن ثم يصير الوصفان « الجاهلية ، و« الكفر » مترادفين أو متقاربين ان أطلقا دون تحديد !

فهل يصح وصف مجتمعاتنا الحالية باحداهما أو بكليهما ؟ !

ذلك ما نجيب عليه فيما يلى من سطور باذن الله ٠٠

● **لا نقر الفجور ولا العصيان .. ولا نقر البغى والعدوان :**

علم الله انا ـ باذن منه وفضل ـ حرب على الفجور والعصيان . كذلك نحن حرب على البغى والعدوان فلا نقر ـ باذن الله ـ ما تساقط فيه قوم من قومنا من معصية الله ورسوله بلغت حد الفجور دعوة أو ممارسة أو تطبيقا .

لا نقر ما وقعت فيه مجتمعاتنا نتيجة الغزو الفكرى والعقدى والتربوى من خروج على أمر الله يبلغ حينا حد الكفر ويبلغ أحيانا حد الفسوق والفجور .. مما نشهده على الشاشات الصغيرة والكبيرة ، ومما نراه مبثوثا خلال الملاهى وأماكن الفجور ، وحانات الخمر ، ومما انتقل نزعا للحياء من الشارع نفسه تهتكا وتبرجا .

ولا نبرىء أولئك الذين تولوا كبره : « **والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم** » (١١) .. سواء أكانوا فى موقع التوجيه الاعلامى ، أو الثقافى أو التربوى ...

أو كانوا فى موضع السلطة يسمحون ويقرون ويعطون القدوة السيئة من أنفسهم فى حياتهم الخاصة ، وأحيانا يجاوزون الى الأمر بذلك والى حمايته اذا أحسوا غفلة الشعوب .

ولا نقر كذلك ما مارسه البعض من الحكام ـ وان كان كثيرا ـ من حرب لدعوة الله سبحانه وتعالى وللداعين اليها .. حربا بلغ فى الهبوط حدا من الخسة لم يعهدها الناس من قبل ، وبلغ من الفسق

---

(١١) النور : ١١

حدا فاق تصور الكثيرين ... أمرا حاولنا تصويره فنجحنا حينا ولم نبلغ الهدف أحيانا ! (١٢) .

وحسبنا فى ذلك أنهم « أهل النار » أو هم « دعاة النار » .

ذاك وصف نبينا ﷺ وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى : « صنفان من أمتى من أهل النار لم أرهما : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولا يشممن ريحها ، ورجال يمسكون بسياط كأذناب البقر يعذبون بها الناس » (١٣) .

... فهل بعد هذا الخير من شر ؟

قال رسول ﷺ : « دعاة على أبواب جهنم .. من أجابهم اليها قذفوه فيها .. قال : صفهم لنا يا رسول الله ؟ قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بلساننا » (١٤) ..

وقد عشنا ورأينا .... أهل النار ..

وعشنا ورأينا .. دعاة جهنم .. وانا لله وانا اليه راجعون !

---

(١٢) نشير بذلك الى ما سجلناه فى كتابنا « فى الزنزانة » و « عندما يحكم الطغاة » وما سجلته الوثائق المنشورة فى كتابنا « دعاة لا بغاة » وان كنا نعترف أنا قد قصرنا عن بلوغ الهدف أو قصرنا فيه .

(١٣) رواه أحمد ومسلم .

(١٤) جزء من حديث رواه حذيفة بن اليمان ـ متفق عليه (رواه البخارى ومسلم) .

ونحن اذ لانقر ذلك التطرف من أولئك وهؤلاء ..
لا نقر التطرف المقابل .. لأكثر من سبب .

أولا ـ مخالفة صحيح الحكم الشرعي :

فالمسلم يحكم باسلامه اذا شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويحكم باسلامه بميلاده من أبوين مسلمين (١٥) .

ولا يكفر برأى أو معصية .. الا أن يأتى قولا أو فعلا هو من الكفر بيقين .

ذلك أن الاسلام يثبت بيقين بالشهادة فلا يزول كذلك الا بيقين ...

وقد تضافرت الأدلة ، وتواترت ـ معنويا ـ على الحكم للمسلم بالاسلام بشهادته أن لا اله الا الله ...

ذاك فعل الرسول ﷺ طوال حياته ..

ثم هو قول الرسول ﷺ فى أكثر من موضع : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، ويؤمنوا بى وبما جئت به فمن قال : لا اله الا الله فقد عصم منى نفسه وماله الا بحقه وحسابه على الله » (١٦) .

---

(١٥) راجع « دعاة لا قضاة » للمستشار حسن الهضيبى رحمه الله .

(١٦) ورد بطرق كثيرة بالفاظ مختلفة حتى قال البعض انه متواتر ـ مختصر شعب الايمان للبيهقى ص ٢ وما بعدها ـ أخرج الحديث مسلم وأحمد وأبو داوود والنسائى .

« حدث أسامة بن زيد بن حارثة : بعثنا رسول الله ﷺ الى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم قال : فلما غشيناه قال : « لا اله الا الله » ، فكف عنه الأنصارى فطعنته برمحى فقتلته ، قال : فلما قدمنا بلغ النبى ﷺ فقال لى : يا أسامة ، أقتلته بعد أن قال «لا اله الا الله» ؟ قلت : يارسول الله ، انما كان متعوذا ، قال : أقتلته بعد أن قال « لا اله الا الله » ؟ فمازال يكررها على حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم » (١٧) .

« حدث المقداد بن عمرو الكندى ـ وهو ممن شهد بدرا ـ قال : يارسول الله ، ان لقيت كافرا فاقتتلنا فضرب يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ بشجرة وقال أسلمت لله آقتله بعد أن قالها ؟ قال رسول الله ﷺ : لا تقتله ، قال : قلت ، يارسول الله ، فان طرح احدى يدى ثم قال ذلك بعدما قطعها آقتله ؟ قال : لا تقتله ، فان قتلته فانه بمنزلتك قبل أن تقتله وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال » (١٨) .

« يخرج من النار من قال « لا اله الا الله » وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال «لا اله الا الله » وكان فى قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال « لا اله الا الله » وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة » (رواه البخارى)

---

(١٧) متفق عليه رواه أبو هريرة .

(١٨) رواه البخارى .

« ·· من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق » (١٩) ·

هذا الى ما ثبت من اجماع أنه يترتب على الشهادتين ـ أى النطق بهما ـ دخول الاسلام وعصمه الدم والمال ويكفر تاركها بالاتفاق (٢٠)·

وهو من بعد ذلك اجماع الأمة من لدن رسول الله ﷺ حتى اليوم لم يخالف عنه الا فرقتين خرجتا على ذلك الاجماع ·· ليسوا من أهل السنة : الخوارج والمعتزلة ·

فالأولون كفروا الناس بالمعصية ··

والآخرون جعلوهم فى منزلة بين المنزلتين !

وفى هذا المضمار نسوق قول الامام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه : « واعلم أن شرح ما يكفر وما لا يكفر يستدعى تفصيلا طويلا فاقنع الآن بوصية وقانون :

أما الوصية : فهى أن تكف لسانك عن أهل القبلة ما داموا قائلين « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » غير مناقضين لها ، والمناقضة تحصل بنحو تجويزهم الكذب على رسول الله ﷺ ·

---

(١٩) رواه البخارى وهو جزء من حديث طويل ·

(٢٠) الايمان لابن تيمية ص ١٠٧ ـ والاعتصام للشاطبى ج ٣ ص ٢٧٨ ـ العقيدة الاسلامية لأبى زهرة ص ٧٤ ـ الايمان الحق ص ٢٨ ـ ٣٠ ، للمؤلف ·

اما القانون : فاعلم أن النظريات قسمان : قسم يتعلق بأصول العقائد ، وقسم يتعلق بالفروع ٠

وأصول الايمان ثلاثة : هى الايمان بالله ، والايمان برسوله ، والايمان باليوم الآخر ٠٠ وما عدا ذلك فروع ٠

واعلم أنه لا تكفير فى الفروع الا فى مسألة واحدة ، وهى : أن ينكر حكما ثبت عن النبى ﷺ بالتواتر القاطع وأجمعت عليه الأمة بسائر طوائفها كانكار وجوب الصلوات الخمس أو صوم رمضان أو القبلة » (٢١) ٠

وفى مكان آخر : « وينبغى الاحتراز من التكفير ما وجد اليه سبيلا ـ فان استباحة الدماء والأموال من المصلين الى القبلة المصرحين بقول « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » خطأ ، والخطأ فى ترك

---

(٢١) راجع الامام الغزالى «فيصل للتفرقة بين الاسلام والزندقة» ـ فى نفس المعنى !

وراجع الامام عبد الجليل عيسى « ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين » ٠

وراجع الامام حسن البنا « رسالة التعاليم » ٠

وراجع الامام حسن الهضيبى « دعاة لاقضاة » ص ٥٣ ، ١٢٧

وراجع الامام محمد ابو زهرة « العقوبة فى الاسلام » ص ٢٠٣

ألف كافر فى الحياة أهون من سفك محجمة من دم مسلم » (٢٢) ٠

ويروى عن الامام على رضى الله عنه : « اذا قال كلمة تحتمل الكفر من مائة وجه وتحتمل الايمان من وجـه واحد فأنه لا يحكم بالكفر » ٠

وعليه اتفق العلماء أنه لا يفتى بردة مسلم اذا فعل فعلا أو قال قولا يحتمل الكفر ويحتمل غيره (٢٣) ٠

● **لا يلزم بعد الشهادة أو مع الشهادة شرط زائد :**

ذهب البعض نتيجة التفريط الواقع فى المجتمعات ـ الى القول بشرط زائد لصحة الاسلام بعد النطق بالشهادة ، فاشترطوا العمل بمقتضـاها ، واستند بعضهم الى الأثر القائل : « ليس الايمـان بالتمنى ، لكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » ـ وفى تكملة للأثر « وان أناسا غرتهم الأمانى وقالوا : نحسن الظن بالله ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » ٠

وقد وقعوا فى خطأ وخلط كبيرين ٠٠

ذلك أن رسول الله ﷺ فى كل ما نقل عنه ، لم يكن يشترط للدخول فى الاسـلام شيئا غير الشهادة ، وكان يقول : « قولوا لا اله الا الله تفلحوا » (٢٤) ٠

هذا من ناحية ٠٠

---

(٢٢) الاقتصاد فى الاعتقاد ٠ ص ١٢١ ٠

(٢٣) أستاذنا الامام محمد أبو زهرة « العقوبة » ص ٢٠٢ ٠

(٢٤) كتب السيرة : ابن هشام وابن كثير ٠

ومن ناحية أخرى فقد ثبت أنه قال لعمه أبى طالب وهو مشرف على الموت : « قل لا اله الا الله .. أشهد بهـا لك عند الله » (٢٥) – ولو كانت هذه لا تكفى لمـا طلبها بالحاح رسول ﷺ – ولم ينطق أبو طالب ، ونزل قول الله سبحانه بعد اذ رفض النطق بالشهادة **« ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا المشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، ان ابراهيم لأواه حليم »** (٢٦) .

وأخيرا فان الأثر الذى يحتج به ليس بحديث (٢٧) ، وانما يرجح أنه قول للحسن البصرى أو لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه – والله أعلم ، ومع ذلك فمناقشة الأثر لا تدل على أن ثمة شرط زائد للدخول فى الاسلام بعد « لا اله الا الله محمد رسول الله » – وانما تدل على مفهوم الايمان عند أهل السنة أنه قول واعتقاد وعمـل ، وأن العمل جزء من الايمان وافتقاد هذا الجزء لا يترتب عليه القول بالكفر ، وانما يترتب عليه القول بنقص الايمـان عند أكثر العلماء ، فالايمـان يزيد وينقص ، يزيد بالطـاعات وينقص بالمعـاصى ،

---

(٢٥) البخارى ج ٢ ص ١١٩ .

(٢٦) التوبة : ١١٣ ، ١١٤ .

(٢٧) راجع كتب الحـديث ، وراجع المرشد العـام للاخوان المسلمين حسن الهضيبى : « دعاة لا قضاة » ص ٤٣ وما بعدها . ط دار التسلام ، بيروت (١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م) .

والطاعات والمعاصى أعمال ، أو يقال : انتفى الايمان وبقى الاسلام كما فى الأثر : « اذا زنى العبد خرج الايمان فكان على رأسه فاذا أقلع رجع اليه » .

وكذلك قول الله تعالى : « **قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم** » (٢٨) .

وقال فريق ثالث : يوصف بكفر دون كفر ، أو كفر أصغر ، أو كفر غير مخرج من الملة ..

وفرقوا بذلك بين النوعين : أصل الكفر أو الكفر الأكبر أو الكفر المخرج من الملة والنوع الذى أشرنا اليه ، وذلك تأسيسا على أن للايمان أصلا وفرعا فاذا انتفى الأصل كان الكفر الأكبر أو المخرج من الملة ، واذا انتفى الفرع كان الكفر الاصغر أوغير المخرج من الملة أوكفر دون كفر وهو تعبير دقيق يؤكده استعمال القرآن والحديث لألفاظ الكفر والفسق والظلم فى الأصل وفى الفرع ، ويكون التمييز بينهما بالتعبير السابق والله أعلم (٢٩) .

---

* * *

(٢٨) الحجرات : ١٤

(٢٩) راجع بحثا متواضعا لصاحب هذه الكلمات «الايمان الحق» ص ٨٢ ، ٨٣ فقد سمى القرآن الشرك ظلما ، وسمى اللمز والغيبة ظلما ، فهل يستوى الظلمان ؟ وسمى مخالفة ابليس فسقا ، وسمى رمى المحصنة فسقا ، فهل يستوى الفسقان ؟ وسمى جحد آياته وقتل أنبيائه كفرا ، وسمى الحلف بغير الله كفرا ، فهل يستوى الكفران ؟

ثانيا – تكفير المجتمعات وتجهيلها لا يتفق مع اسلوب الدعوة ولا أسلوب التربية :

ذلك أن القرآن علمنا هذا الأسلوب : « **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** » (٣٠) .

« **لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا ، قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون** » (٣١) .

« **وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين . قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون** » (٣٢) .

« فبما رحمـة من الله لنت لهم ، ولـو كنت فظـا غليظ القلب لانفضوا من حولك » (٣٣) .

« بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا » (٣٤) .

وفى خطاب ابراهيم عليه السلام لابيه خير تطبيق : « **اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا . يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا . يا أبت لا تعبد الشيطان ، ان الشيطان كان للرحمن عصيا .**

---

(٣٠) طه : ٤٤ (٣١) الأعراف : ١٦٤

(٣٢) سبأ : ٢٤ ، ٢٥ (٣٣) آل عمران : ١٥٩

(٣٤) رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى ، واللفظ لمسلم .

يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليـــا » (٣٥) ٠

وفى مجال التربية وعمودها الأساسى التزكية وفى التزكية معنى التنمية ، كما أن فيها معنى التطهير ، فان المربى يطهر الشىء الفاسد٠ ويبقى على الشىء الصالح وينميه ويزيد منه : « **قد أفلح من زكاها ٠ وقد خاب من دساها** » (٣٦) ٠

وفى مجال البناء والتنمية يضرب لنا رسول الله ﷺ المثـل الطيب فهو يأخذ قولا قيل فى الجاهلية : « انصر أخاك ظالما أو مظلوماً » فيكمله بما يطهره ٠٠٠ يقول : **أنصره مظلوماً فكيف أنصره** ظالما ؟ فيقول الرسول المربى الكريم ﷺ : تقصره عن ظلمه » (٣٧)٠

ويأتيه حكيم بن حزام رضى الله عنه فيقول : **أرأيت أشياء** كنت أتحنث بها فى الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم فهل من أجر ؟ ، فيقول له النبى ﷺ : « أسلمت على ما سلف من خير » (رواه البخارى) ٠

وفى رواية لمسلم « أسلمت على ما أسلفت من خير » ٠

وفى حديث رسول الله ﷺ عن حلف الفضول : « لو دعيت اليه فى الاسلام لأجبت » ٠

وفى قوله لابنة حاتم : « ياجارية : هذه صفة المؤمنين حقا ، ولو

---

(٣٥) مريم : ٤٢ – ٤٥ (٣٦) الشمس : ٩ ، ١٠

(٣٧) السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٦١ ٠

كان أبوك قدمنا لترحمنا عليه ، خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق » (٣٨) .

وفى صوم يوم عاشوراء التى كانت تصومه قريش فى الجاهلية (٣٩) .

وفى اقراره كثيرا من مناسك الحج التى كانت قبل الاسلام .

وفى الزام عمر تجار أهل الذمة بما كان يؤخذ منهم قبل الاسلام (٤٠) .

كل ذلك وغيره يلقى ضوءا على منهج التربية فى الاسلام .

أنه منهج بناء لا هدم .

أنه منهج تنمية للخير لا تنكر له ولا اجتثاث له !

ومن هنا فمنطق أولئك الذين يريدون البدء من الصفر منطق لا يتفق مع منهج التربية السليم .

* * *

ثالثا ـ الخلط بين مجتمعات المسلمين والأنظمة الحاكمة لهم :

لا نبرىء الأنظمة الحاكمة بغير ما أنزل الله من الخروج عن شرع الله ..

---

(٣٨) المرجع السابق ص ٨٠

(٣٩) البخارى ومسلم ومالك فى الموطأ .

(٤٠) مالك فى الموطأ ، وفى : « الجاهلية قديما وحديثا » ص ٢٠٦ وما بعدها .

لكن هذا الوصف لا ينبغى أن ينسب الى المحكومين :

فانهم أولا يشهدون أن « لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » ـ وقد فصلنا القول فيها ..

وهم يقيمون ـ فى أغلب الأحيان وفى معظمهم ـ شعائر الاسلام.

واذا كان الرسول ﷺ قد أمر بالكف اذا سمع الأذان ، فما بالنا ونحن نسمع مع الأذان شعائر أخرى كثيرة بعضها فى الدين فرائض وأركان !

وفى هذه المجتمعات من ينكرون على الأنظمة بأيديهم ..

ومنهم من ينكرون بلسانهم ..

وكثير ينكرون بقلوبهم ... وكل ذلك داخل دائرة الايمان فكيف تنزع عنهم هذه الصفة التى أضفاها عليهم رسول الله ﷺ؟!

* * *

● **الجاهلية فترة وليست حالة :**

عبر القرآن عن فترة ما قبل الاسلام بالجاهلية ..

وعبر عنها مرة بالجاهلية الأولى اشارة ـ عند بعض المفسرين ـ الى جاهلية سبقت لما قبل الاسلام مباشرة ..

وارتأى البعض أنها ملة أو وصف..ومن ثم يمكن أن تتجدد..

ونقدر لهذا البعض اخلاصهم ونقدر لهم اجتهادهم الذى لابد أن ينالهم منه أجر ـ ان شاء الله ـ ولكننا نرى أن الوصف المطلق قد انتهى ببدء الاسلام منعا من الخلط ، وابعادا للبس .

ونزولا على استعمال الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان الذى أقره عليه رسول الله ﷺ ، فقد سأل رسول الله ﷺ :

كنا فى جاهلية وشر ، فأتانا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ . قال : نعم . فقال : فهل بعد هذا الشر من خير ؟ . قال : نعم وفيه دخن . قال : فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم : دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها ..... » (الحديث) .

فنلحظ أنه عندما تكلم عما قبل الاسلام ذكر لفظ الجاهلية ، وعندما تكلم عما بعد الاسلام لم يذكر لفظ الجاهلية ، وانما ذكر الشر ..

وعلى ذلك فتبقى الجاهلية المطلقة ، أو « المجتمع الجاهلى » قاصرا على فترة ما قبل الاسلام ..

أما ان أردنا استعمال الوصف فيكون بصفة جزئية لا بصفة عامة ولا مطلقة ، كما قال الرسول ﷺ : « انك امرؤ فيك جاهلية » ..

أو كما قال : « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم » .

أو نقول مجتمع عاداته جاهلية .. أو فيه جاهلية .

لكن لا ينبغى اطلاق القول بأنه مجتمع جاهلى .. فتلك أمة قد خلت ، حتى لا يقع اللبس ولا يقع الخلط ، ولا يستر القول وصفا بالكفر يتحرج صاحبه أو يترفق !

* * *